مجلة الرائد

العدد : ٢٣٩ الموافق في رمضان ١٤٢٣ هجري ٢٠٠٢/١١ ميلادي

عنوان المقال : كسول .. مشاغب !!	الكاتب : سهى عبد الحميد أحمد

أراه في طريقي وأجد نفسي معلقة النظر بشخصه الصارخ .. لا تتركه عيناي حتى يغيب . يشدني إلى تأمله عذاب في ضميري لم يستطع أن ينساه أبداً ، مع أنه ليس ابني ، ولا ابن قريبتي ، ولا حتى صديقةٍ لي .. وبالرغم من أني لم أجرؤ قط على الكلام مع أمه يوماً بما يجول في خاطري ، لكنني أَكِنُّ لها الإحساس العميق بحسرتها ، لا أملك عندما أراها إلا أن أصرف عيني عن اللقاء بعينيها – تماماً كما يفعل أولادي إذا ارتكبوا خطأً ما يدركون بشاعته بالنسبة إليّ ، عيونهم تفضحهم – كم حدثتني نفسي بالذهاب إليه والكلام معه . لقد كبر بسرعة مذهلة .. أصبح ضخم الجسم وملامح الرجولة غدت في معالمه ثابتةً وناقمة إلى أبعد الحدود على كل المظاهر الإسلامية . وعندما استجمعت قواي للحديث معه غاب من مكانه المعهود على قارعة الطريق .. افتقدته .. وما مررنا يوماً عائدين كأسرة من المسجد إلا وجدتني أبحث عنه بكل حواسي .. وصعقت عندما قطع تفكيري الغاضب ولدٌ من أولادي وأنا أتأمل وجوه عصابته التي كانت تبدو أنها مجتمعة تبعاً له .. عبثاً أحاول .. ماما! ماذا تريدين من سالم ؟ .. لن يعود ثانية! أجبته ببرودة تخفي غليان أمومتي الملتهب .. أنا قلقة عليه وأمره بالنسبة إليَّ مهم .. وسألني الثاني باستغراب وسخرية : .. وهل تظنين أنك تستطيعين مساعدته ؟ تأخر الوقت .. وعاد ولدي الأول ليسعفه : .. لقد أصبح أبعد مما تتصورين : إما أنه بالسجن الآن أو في مشفى ينتظر نهايته .. قلت له : لا سمح اللّه .. لماذا تقول ذلك ؟ أجاب باحتجاج : ماما لا تحاولي أن تتجاهلي .. إنه معروف بأنه أذكى الشباب في بيع المخدرات .. اصمت يا حبيبي! أرجوك ليست مهمتنا الحديث عن الناس بالظن .. اللّه يحميه ويحمي كل شبابنا . ابتسم كل منهما ابتسامة ساخرة وتكلمت عيناهما كلاماً أخطر مما توقعت ، وكل منهما كان لا بدَّ يراني على حد غير قليل من السذاجة . وعندما خيم الظلام وكنت أطوف على أسرَّتهم لأطبع على وجه كل ولد من أولادي قبلة سألت نفسي : كيف تنظر تلك الأم المذبوحة إلى سرير ولدها الغائب ؟ ألم يكن يوماً ما طفلاً صغيراً يعني بالنسبة لها كل شيء ؟ .. وما الذي قدمناه لها ؟ .. تتهامس النساء .. ويستغرب الرجال وكأن المهمة خارجة عن حدود مسؤوليتهم .. ويثرثر الأولاد وتكثر التعليقات ، وليس أبرع منا في النقد السلبي .. أرأيت ابن فلان .. أرأيت ابن فلانة .. وكأن فلاناً وفلانةً ليسوا إخواننا على الدرب .. كأننا أخذنا عهداً من الغيب

مجلة الرائد

العدد : ٢٣٩ الموافق في رمضان ١٤٢٣ هجري ٢٠٠٢/١١ ميلادي

عنوان المقال : كسول .. مشاغب !!	الكاتب : سهى عبد الحميد أحمد

القادم مع أحداث حياتناً أن يكون أولادنا معصومين عن الخطأ .. بل يصبح الإنسان المخطئ في مجتمعنا مصنَّفاً باللوحة السوداء ، ولا نملك لمساعدته سوى تسليط الأضواء على مشكلته وتهويلها . كان هذا عتبي الدائم على نفسي وعلى كفالة مجتمعي التربوية .. أيامٌ مضت وتوالت لأصادف والده وتجرأت – بعد أن بادرته بالسلام فردَّ – فسألته : ما هي أخبار سالم ؟ .. أبحث عنه .. منذ زمن لم أره .. نظر إليَّ نظرة دهشة واستغراب شديد وظن هو الآخر أنني أصبت بمسٍ من الجنون! .. وماذا تريدين منه ؟ تلعثمت ثم قلت له : أحتاج منه مشورة خاصة . فضحك مني ضحكةً سمعت منها صوت بكاء كل أبوة جريحة على وجه الأرض! .. اسمعي يا أختي كنت أعرفه يوماً وأنا لا أعرف أحداً اليوم بهذا الاسم ولا أريد أن أعرف ، وتركني ومضى وأنا على يقين بأنه لا يقدر على نفي دمه من عروقه ولا على أسري نبضته بعيداً عن حدود قلبه وأبكتني الأبَّوة المفجوعة والبنوة الضائعة التي أصبحت سمة من سمات مجتمعنا ، ووجدتني أردد بحزن عميق : { ... **وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ** } [هود : ٤٣] – مضت الأيام .. ومع طرقات أصابع ولدي الصغير على الباب التي كانت تعزف ألحاناً مستنفرة أشرق في نفسي الأمل بمجرد أن فتحت له الباب فقال لي : عندي لك مفاجأة .. كنت تسألين عن سالم لقد عاد لقد رأيته قبلته لأخفي دموعي في صدره الصغير . لم أكن أصدق أنه انتبه أصلاً لحدثٍ كهذا وازدادت قناعتي بشفافية الإحساس عند أولادنا وبضرورة تدريبهم على ترجمة إسلامهم إلى رحمة من حولهم وبدون تفكير رجوته أن يرعى إخوته الصغار وارتديت حجابي وتوجهت إلى سالم وأصوات في داخلي توبخني .. الآن تتحركين! ماذا ستقولين له؟ .. أين كنت كل تلك السنوات ؟! .. وجدتني أمام كتل بشرية منهارة .. رائحة التبغ ، وأقاربه نافذةٌ متسلطة .. خرائط زرقاء رسمت حول أعينهم مآسي وفضائح .. تعبير مذهل .. من بنطالٌ شاذ .. تطور لأشكال منحوتة على الأيدي لم أرها كما رسمت وشام طاووس بل شعار هذيان طائش يعلن التحرر من قيودنا وأوامرنا .. بحلق تدلى من الأذن ومن سرة البطن ومن فتحة الأنف .. خمّارة على قارعة الطريق!! .. اقتربت منه أكثر : سالم هل تسمح لي بالحديث معك ؟ ودقات قلبي أرهقت أمومتي التي كانت تحس أنه حقيقة ولدي .. سالم أنا قلقة عليك وأعرف أنك طيب ، عندها أدار وجهه ونظر في وجهي مشدوهاً محدقاً .. يا إلهي إنها نظرته نفسها .. إنها هي .. واللَّه إنها هي تماماً .. قبل ستة

مجلة الرائد

العدد : ٢٣٩ الموافق في رمضان ١٤٢٣ هجري ٢٠٠٢/١١ ميلادي

عنوان المقال : كسول .. مشاغب !!	الكاتب : سهى عبد الحميد أحمد

عشر عاماً معلمته في مدرسة اللغة العربية على يمينه شلالاً من الشكاوى ومعلم يمسك بإذنه ويصرخ في وجهه : .. إلى متى أيها المشاغب ؟ إما أن تصبح بني آدم وإما أنك ستطرد ، والمعلمة تدعم القرار بغضب واحتجاج : كسلان.. مقصر .. مُهمِل .. يأتي بلا واجب .. من أول العام لم يحفظ آية . لم أعد احتمله!! كسول ومشاغب ، " لو كان شاطراً لكانت نصف مصيبة " ، وكأن هذا المشهد كان قبل لحظات .. صوتهما وهما يصرخان في وجهه لا يزال حياً في مسامعي بكل أنغامه الصاخبة .. كان غضبهما حريصاً على تعليمه لغته الأم ، وكان رعبه منهما وعداً أكيداً بأنها لم تكن يوماً لغته الأم

سالم لعلك لا تعرفني لكنني أعرفك جيداً وأنا على ثقة أنك تحتاج مساعدتي .. أنا في الحقيقة أعرفك منذ كنت صغيراً وأراك الآن كبرت .. سالم أنا أم وأنت ابن أشعر بالحرص عليه .. لن أترك كلامي معك يطول ، ما رأيك أن تزورنا في البيت ونتكلم بهدوء .. قطع كلامي المضطرب : أنا لا أعرفك ولا أفهم ما تقولين ولا أريد مساعدة أحد .. بل تعرفني يا سالم ، أتذكر عندما كنت خارجاً من المسجد تبكي غاضباً ومشيت معك أقنعك بالعودة . قال بصوته الساخط : نعم أتذكر وأعرفك ولا أُريد منك مساعدة ، وإن كان أحد أرسلك فقولي له إنني لن أعود إلى البيت الذي طردت منه ليلاً ، وأنا أعرف من أرسلك .. ليس لأحد علاقة بي .. أجبته بخوف من قرفه من شخصي : صدقني لم يرسلني أحد ولا أعرف متى طردت ، أنا فقط .. ولم أتابع الكلام وقد أدار ظهره ليستقل سيارة تفوح منها رائحة إناث مستعرة .. لا تتناسب لا طرداً ولا عكساً مع حجابي الذي يرمز له بطفولته التي سيحملها معه ككل إنسان مدى الحياة .. عدت أدراجي وأنا أدين نفسي وألتمس له العذر وأحس بالطفل المكسور وقد اختفت شظاياه بزوايا جسده الضخم .

نريد من أولادنا أوصافاً خاصة لنتقبل تعليمهم وإرشادهم .

نريد منهم سلوكاً يحترم فخامة شخصنا وعظمة قدرنا ..

كم كان عدم احتوائه خطأً فادحاً .. كم كان تعنيفه والتشهير بأخطائه جريمة لا أغفر لنفسي لمجرد أني كنت شاهدة عيان عليها ولم أدينها .. أقول له أني حريصة عليك وأريده أن يصدقني!!

مجلة الرائد

العدد : ٢٣٩ الموافق في رمضان ١٤٢٣ هجري ٢٠٠٢/١١ ميلادي

عنوان المقال : كسول .. مشاغب !!	الكاتب : سهى عبد الحميد أحمد

لو أننا قبل أن نضع رسوماً للالتحاق بالتعليم ونقاشاً حول المناهج ودروساً عن التحصيل الدراسي .. نحاول أن نفهم أن الفقه الخاص ليس الأولوية فيه للتعامل بالمال ولا الزواج بأجنبية أو ملحدة أو كتابية ، بل نعطي الأولوية في فقه الأقليات لفقه تربية الأقليات ، ونمنع من نطلب منه تدريس العربية كلغة القرآن أن يعطى الصلاحيات بالتفوه بأية عبارة مثبطة .. أو تقييم السلوك الخاطئ .

إنني أفتح قضية سالم حجة دامغة على كل من يكتب لأولادنا « تراجع إلى الوراء » .. أو « وسط » أو « لا بأس » أو « ضعيف » أو « ضعيف جداً » ونستبدلها بأحسنت .. « ممتاز » ، « رائع » ، « تقدم مدهش » ، « فلتحيا » .. ولنكف عن هراء « الأول » و « الأخير » و « معدل سيء » وإلى آخر ما هنالك من تقييمات لا تجدي نفعاً .. لماذا لا نقبل أولادنا كما هم ؟ ونكون نحن كما نريدهم أن يكونوا ؟ لأننا عندما نقبلهم كما هم بحب واحتواء وحلم ورحمة سيكونون بمشيئة اللّه كما نريدهم أن يكونوا .. وسالم هذا قد يكون ابني في المستقبل أنا أو ابنك أنتِ أو ابنها هي .

أو ليس في الإنحراف جرأة في التمرد وقدرة على التخطيط والتنفيذ وحتى تهريب المخدرات لا بد له من مؤهلات قيادية كإصدار أوامر أو اتخاذ قرار .. إنني أعتقد أن من يحمل هذه الصفات لا بد أنه بني آدم – إننا ندرس اللغة الأم ..

إننا ندرس اللغة الأم التي تحتاج إلى المعلمة الأم . وإنما المدرسة معلم

قضيتك سالم ككثير من قضايانا ملف أعرضه على كل المؤسسات الإسلامية لتدرسه ولتستشعر المسؤولية التي نحملها جميعاً دون استثناء : آباء ودعاة وأمهات وداعيات .. لا لتغلق ككثير من قضايانا ضد مجهول.